نماذج من رجال الفكر والدعوة في القرون الثلاثة الأولى

د . حسين علي أحمد
مدرس
جامعة الموصل- كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد... فقد قضت سنة الله تعالى في عباده، أنهم كلما ابتعدوا عن الصراط السوي، بعث إليهم رسولاً يهديهم إلى سواء السبيل، ويصلح ما فسد من أحوالهم، وذلك عبر تاريخ الإنسانية حتى ختمت برسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي كان له جهد بالغ في توجيه أمته، وإرشادها حرصاً عليها وعلى إصلاحها، فرباهم التربية الإيمانية الربانية، فحذرهم من مفاتن الدنيا ومغرياتها، مع توجيههم إلى ما يصلح لهم من أمور الدنيا.

وقد تلقى الصحابة (رضي الله عنهم) هذه التوجيهات النبوية، ونقلوها إلى التابعين (رحمهم الله تعالى).

ولقد هيأ الله تعالى لهذا الدين قادة وعلماء، ودعاة مفكرين ، ينشرون الإسلام في أرجاء المعمورة بالتربية والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالجهاد في سبيل الله، يقول تعالى((**العنكبوت ٦٩**))(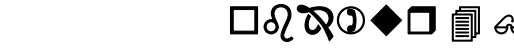 .

ومهمة هؤلاء المفكرين العودة بالأمة إلى منابعها وأصولها، وإصلاح النفوس، وتنوير القلوب بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي أهمية الموضوع.

أما سبب اختياري لموضوع (رجال الفكر والدعوة في القرون الثلاثة الأولى)، فهناك أمور مهمة دعتني إلى اختياره أذكر أهمها فيما يأتي:

١. إبراز موقف السلف -وأقصد به الصحابة والتابعين- من موضوع الفكر والدعوة ، وكيف أنهم كانوا قادة وعلماء مفكرين .

٢. المجتمع البشري في حاجة مستمرة إلى هذا الجانب التربوي .

٣. حاجة الأمة الإسلامية إلى المفكرين والدعاة - قادة وعلماء - وخاصة في هذا الزمن الذي قد ضاقت به الحيل، واشتدت الكروب، وتعاظمت الخطوب.

وانقسم بحثي إلى ثلاثة مباحث :
الأول : رجال الفكر والدعوة في عصر الصحابة " رضي الله عنهم " (أبو بكر الصديق) أنموذجاً.
الثاني : رجال الفكر والدعوة في عصر التابعين (عمر بن عبد العزيز) أنموذجاً .
الثالث : رجال الفكر والدعوة في عصر تابعي التابعين ((عبد الله بن المبارك)) أنموذجاً .

تمهيد

إن من أهم الوسائل لإشعال المواهب ، وإثارة الروح، وتقويم الأخلاق، والإصرار على مكافحة المجتمع الفاسد، والابتعاد عن البيئة الموبوءة، والتسامي لمعالي الأمور، هي دراسة سير عظماء الرجال، وزعماء الإصلاح من رجال الفكر والدعوة في الإسلام .

كذلك نرى حاجة الأمة الإسلامية -وفي عصرنا الحاضر بالذات- إلى مثل سير هؤلاء القادة والمربين والمفكرين حتى يرجعوا الثقة بتاريخنا الإسلامي، وبصلاحية إسلامنا وتعاليمه في إنشاء أمثال هؤلاء الأفذاذ، حتى يقتفى أثرهم، ويسار على منهجهم الذي ساروا عليه.

-ولقد شرفني الله تبارك وتعالى ومن خلال رحلة سريعة وعاجلة مع بعض المصادر الموثقة بمرافقة نخبة ذات قدر رفيع، وسلوك طاهر، من هؤلاء البررة أحباء الله وأوليائه.

-وكنت كلما تعرفت على بعض الدروس والعبر من أخبارهم ومواقفهم، وما كانوا عليه من النصح والإرشاد لأنفسهم وللأمة ازددت يقيناً بأن هؤلاء المفكرين والدعاة هم معالم في طريق الأمة ؛ وذلك لما أوتوا من علم وفقه في دين الله عز وجل، وما رزقوا من خشية المولى سبحانه وتقواه، والإقبال بإخلاص على العمل بما علموا، ثم ما حازوا عليه -سابقين غيرهم- في ميدان القدوة على أصعدة الدرس، والتعليم، والتربية والتزكية، والجهاد في سبيل الله.

-زيادة على هذا كله: مخالطتهم للناس في المجتمع، ريادة وقيادة، ناصحين الأمة، بأسلوب حكيم منتج، حتى أننا نرى في الواحد منهم الترجمان العملي لقيم الإسلام وأخلاقه وآدابه.

-وغير خاف أن جوانب النفع في شخصية الرجل المفكر والداعية كثيرة ووفيرة، فعلى هذا لن أتحدث طويلاً في هذا البحث عن هؤلاء الأعلام من ناحيتهم التاريخية، ولكني أردت أن أبرز جوانب القدوة فيهم، وأجسّد فيهم صفات أهل الفكر والدعوة في الإسلام ، وحتى يكون هؤلاء منارات يهتدي بهم من أراد السير في مدارج أهل القرب من الله الذين يجمعون الخير من أطرافه.

المبحث الأول : رجال الفكر والدعوة في عصر الصحابة " رضي الله عنهم " (أبو بكر الصديق) أنموذجاً.

يتطلع كل إنسان ويسعى لبناء ذاته وتربيتها إلى نماذج يقتدى بها ؛ والافتقار للقدوة الحسنة فطرة في النفس البشرية، ذاك أن النماذج العملية والصور الحية تترك في النفس ما لا يتركه الكلام النظري المجرد،

ولذلك كان القرآن الكريم يكثر من سرد القصص، وجاء الأمر بالاتعاظ والاعتبار، قال تعالى:((
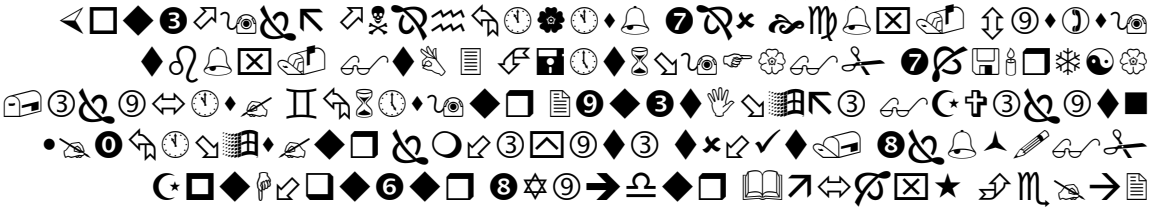
)) (١) .

-ولم يكن اختيار الله سبحانه وتعالى لجيل الصحابة عبثاً، بل اختاره ليكون حاملاً للرسالة، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:-((إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ)) (٢) .

-وكما قال ابن عمر رضي الله عنهما:-((من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم، وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدي المستقيم، والله ربِّ الكعبة)) (٣) .

*فما أحوجنا اليوم للعودة إلى تاريخ هؤلاء الأفذاذ ، وقراءة سيرهم، لنقارن حالنا بحالهم، ولنعرف ما كان عليه أولئك -رضي الله عنهم- فنسعى للتشبه والإقتداء بهم.

-ولاشك أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت للناس كافة، الرجال والنساء، والشيب والشباب، والصغار والكبار.

-واختياري لسيدنا أبي بكر الصديق " رضي الله عنه " لا يعني أننا نهمل سير الباقين رضي الله عنهم - ممن كان لهم في نصرة الإسلام قدم راسخة، وفضل وسبق لا ينكر ؛ بل إنما هي محاولة باحث يريد أن يسلط الضوء على جانب الفكر والدعوة لسيدنا الصديق " رضي الله عنه " الذي نحتاجه اليوم حاجة ماسّة.

القائد الرباني ((أبو بكر الصديق)) رضي الله عنه

إذا أردنا أن نتكلم عن الصديق فلا تكفينا أوراقنا، ولكن نريد أن نبرز بعض الجوانب الفكرية القيادية التي امتاز بها رضي الله عنه.

فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، وأول من أسلم، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحج في الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع، واستقر خليفة في الأرض بعده، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أسلم أبوه . (٤)

ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جداً (٥) .

-يروي الإمام أحمد بسند جيد:-((دخل أبو بكر مزرعة رجل من الأنصار فرأى طائراً يطير من شجرة إلى شجرة فبكى وجلس ، فقال الصحابة: مالك يا خليفة رسول الله ؟ قال:- طوبى لهذا الطائر: يشرب الماء، ويأكل من الثمر ثم يموت لا حساب ولا عذاب، يا ليتني كنت طائراً)) (٦) .

-من هذا النص ندرك أن الإيمان في قلب أبي بكر رضي الله عنه في أعلى مستوى، وما ذاك إلا لكثرة المحاسبة الدقيقة لنفسه، وتذكر يوم القيامة.

-ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:((من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد.....، فيقول أبو بكر: يا رسول الله هل يدعى أحد من أبواب الجنة الثمانية ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام ((نعم، وأرجو أن تكون منهم)) (٧) .
-لا يسأل إلا أبو بكر، ولا يتقدم المسألة إلا أبو بكر، فمن لنا بمثل سيرة الصديق أول المصلين، وفي أول الصائمين، وفي أول المجاهدين... .
-ومع كل هذه الوعود ما كان يرتكن إليها، بل كان قلبه معلقاً بين الخوف والرجاء.
*ولما تولى أبو بكر الخلافة كان يخرج بعد صلاة الفجر كل يوم، فكان عمر يلحظه وينظر... أين يذهب ؟ فإذا هو يذهب إلى إحدى الخيام في أحد أحياء المسلمين.
ذهب عمر وراءه يوماً من الأيام، وخرج أبو بكر من الخيمة، فدخل عمر وراءه من حيث لا يراه أبو بكر، فرأى امرأة عجوزاً عمياء حسيرة كسيرة داخل الخيمة... يا أمة الله من أنت ؟ فقالت: عجوز حسيرة كسيرة عمياء، قال من هذا الشيخ الذي يأتيكم ؟ قالت: لا أعرفه، قال: وَلِمَ يأت ؟ قالت: يصنع لنا طعاماً، ويكنس بيتنا، ويحلب شاةً لنا، فأخذ عمر يبكي ويقول: يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك. (٨) إنها التقوى ؛ ولا يمكن أن نفهمها إلا في قراءة سير أولئك القوم الذين رفع الله منزلتهم.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم:-((هل أصبح فيكم اليوم أحد صائم ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: هل شيَّع أحد منكم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: هل تصدَّق أحدكم اليوم بصدقة ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: هل عاد أحد منكم مريضاً ؟ قال أبو بكر: أنا قال: ما اجتمعت هذه الأمور في أحد في يوم واحد إلا دخل الجنة)) (٩) .
- فهذا هو التعريف العملي للتقوى ليس بالكلام الإنشائي النظري، وهذا جانب من تقواه رضي الله عنه وأرضاه.

*وبعد هذه التوطئة لتقوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سنأخذ واقعة مهمة في حياة الإسلام تبين وتدلل على القيادة الفكرية والدعوية للصديق رضي الله عنه، فنقول:-
-إن طريقة التفكير هي التي تحدد كيفية العمل، وتحدد الأولويات فيه، ويتضح لنا جلياً هذا من مواقف القادة، وأقوالهم، وقراراتهم التي هي إنعكاس لطريقة تفكيرهم.

*** ((القيادة الربانية عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه)) .**

بعد يوم السقيفة في بني ساعدة، ومبايعة الناس لأول قائد بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، دخل أبو بكر المسجد النبوي، واعتلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرص على أن ينزل درجة دون مقام النبي عليه الصلاة والسلام، وبدأ في طرح برنامجه العملي للقيادة، وطريقة تفكيره، وتصوره العقائدي، ولكنها في الحقيقة تمثل الحقائق الأساسية والركائز الأصلية التي يجب الإعلان عنها، والالتزام بها.
قال:-((أما بعد ، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)) . (١٠)
-قد يظنُّ ظانٌّ أن هذه الكلمات كلمات سريعة مترجلة، لا تُعبِّر عن خطة عمل، أو أنها مجرد خطب حماسية تستثار بها العواطف الجياشة لأمة فقدت نبيها وقائدها ومعلمها (صلى الله عليه وسلم).

-وعند قراءة فكر هذا القائد الرباني ندرك خطأ هذا الظن، بل هذه الكلمات القلائل هي انعكاس صادق لفكره رضي الله عنه.

*** ((إني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم)) .**

مع أول قراءة لفكر القائد الرباني يتضح لنا أنه يريد أن يسير على نفس الدرب الذي بدأه القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم.

فالقائد إنما هو رجل من الناس، واحد منهم، اختارته الأمة لما فيه من مزايا خاصة، ولكن لا يعني ذلك أنه فوق مستوى البشر، أو من طينة غير طينتهم، بل هو مثلهم تماماً حتى لا يضفي على نفسه عصمة أو قدسية، فالقائد الرباني يرى نفسه واحداً من الناس هو مسؤول أمامهم، وليسوا هم مسؤولين أمامه.

*** ((إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني)) .**

وهذا تأكيد آخر على البند الأول، فهو بشر يخطئ ويصيب، وهو غير معصوم من ميل أو خطأ، لذلك فهو يحتاج للمعونة والمشورة والنصح والإرشاد، وهو بذلك يقر مبدأً مهماً في معادلة القيادة والحكم الرباني، فالمسؤولية مشتركة بين الطرفين ((القائد والرعية)) فله عليهم حق الطاعة، ولهم عليه حق النصح والإرشاد والنقد والرقابة الدائمة، وعندما ينمو هذا الحس عند أفراد الأمة تكون أمة نشيطة متحركة واعية قادرة على تغيير المنكر والواقع مهما كان سوءه، ومن ثم هي أمة حية، فإن الأمة التي لا تنتقد ولا تعارض لهي أمة ميتة، وإن بان للعيان غير ذلك.

*** ((الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله)) .**

هذا بند لا يتخلف عن أي برنامج قيادي عملي وهو مفهوم العدل الذي جاء به الإسلام، والذي هو أساس وركيزة أي حكم وإن كان كافراً والعدل الذي يقرره هذا القائد الرباني هو العدل بمفهومه الواسع الشامل، ابتداءً من مسألة الطعام والشراب، وانتهاءً بموقف الانسان في العالم، فيأمن من الجميع الجور والظلم، لأن الظلم هو أهم أسباب هلاك الأمم واستبدالها.

حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية:-((إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال:- الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام)) (١١) .

-وقال الرازي في تفسيره لقول الله عز وجل ((❐◆✌♦🕶 🗎•🔔♌♦ ❻ ◆📪❿①☙ 🕾⑩🙰↖♑⇳🖫🙰①☙ ✁🕶🕾↘🕽➔❷♦❽🗏 📪🙰➔⬆🖫▫☠🖰 ❐◆🕮❐♎⬀🖫➔♑⌂🕶 ✌↖🕛⬄🖫🙰•⬅❑♍☙)) (١٢) قال:-((إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك، والمعنى: أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح وعدم الفساد)) (١٣) .

وقال القرطبي:-((إن الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده ؛ حتى ينضاف إليه الفساد)) (١٤) .

*** ((لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل)) .**

بعد أن أعلن القائد الرباني عن برنامجه العملي للقيادة على المستوى الداخلي، يبلور مفهومه بالتزامه الأساسي على المستوى الخارجي، وهو ليس جبهة بعينها، بل هو العالم بأسره، لذلك فهو يحذر من تركه ؛ لأن معنى ذلك بمنتهى البساطة هو الذل والصغار.

وكأني بأبي بكر الرباني يرى من خلال فراسته ما ستؤول إليه حال الأمة عند ترك الجهاد الذي هو بمثابة حركة الأمة المستمرة في العالم لإسقاط القيادات الجاهلية الضالة، وإتاحة حرية الاعتقاد للانسان حيثما كان مكانه دون التقيد بزمان أو جنس أو لون أو لغة أو انتماء.

والجهاد كهدف إيماني حركي دائم يشد أفراد المجتمع المسلم بعضهم إلى بعض، ويوجههم صوب بؤرة واحدة، ويجعلها تقود حركة تحرير الإنسان.

-وعندما يتخلف هذا البند فإن الأمة تفقد ريادتها ومواقعها الأمامية في قيادة البشرية، وبدلاً من أن يحطموا معاقل الجاهلية والشرك، إذا بتلك المعاقل توجه الضربات المتلاحقة على أمة الإسلام، وقد كان.

*** ((ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء)) .**

يؤكد القائد الرباني في برنامجه على الأهمية القصوى للالتزامات الأخلاقية للمجتمع المسلم التي تميزه عن المجتمعات الجاهلية المنحلة، وهو يعبر بعبارة واسعة لكل ما هو مخالف للأخلاق الإسلامية فيقول ((الفاحشة)) ؛ فإن العفن والفساد إذا تسربا إلى أي مجتمع دون أن يكون لدى هذا المجتمع الإرادة الجادة والقيادة الربانية لوقفهما واستئصالهما، فسوف يتحولان إلى بلاء جارف يأخذ الجميع في طريقه، ولا يميز بين الصالح والطالح لأنه عذاب ينصب على الأمة، وعندما تعجبت أم سلمة من هلاك الأمة وفيها الصالحون، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم:-((نعم إذا كثر الخبث)) (١٥) .

*** ((أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)) .**

ويختتم القائد الرباني برنامجه بالركيزة الخاتمة والضامنة لتطبيق كل البرنامج والحافظة لمصداقيته، والدالة على شرعيته، فيؤكد على أن الطاعة التي يتحتم على الأمة أن تمارسها إزاءه، إنما هي مستمدة من طاعته هو شخصياً لله ورسوله، وإنها ليست طاعة مؤبدة لا تسقط مهما كانت الظروف، بل هي مرتبطة بطاعة الله ورسوله وجوداً أو عدماً، فالجميع في نهاية الأمر قيادة وقاعدة سواء أمام الله ورسوله، ولن يكتسب فعلهم قيمته إلا بمدى استمداده من شريعة الله، ومعطيات رسوله صلى الله عليه وسلم.

-مما سبق عرضه من بنود خطاب القائد الرباني أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبعد قراءة هذا الفكر، يتضح لنا أن هدفه الأسمى هو المحافظة على دين الله عز وجل، وصيانته من العبث والتحريف، ثم سياسة المجتمع المسلم بالدين، بوضع ركائز الضمان الاجتماعي، ومقومات استمرارية الحركة والحيوية التي بنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمع الأول في المدينة، فمجتمع نظيف رباني حركي فعّال يعرف دوره المطلوب منه تماماً، وقيادة ربانية تسوس هذا المجتمع بدين الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

-لذلك نجد أن التطبيق التنفيذي لهذا البرنامج المعلن من أول يوم جاء على أكمل وجه، وأدق تصوير، وأوضح انعكاس لهذا البرنامج، ويتضح هذا لنا من أهم أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي قام بها خلال فترة حكمه الوجيزة:-

١.أول قرار اتخذه تسيير جيش أسامة بن زيد ((ركيزة الجهاد)).

٢.القضاء على فتنة الردة ومانعي الزكاة ((ركيزة صيانة الدين والأخلاق)).

٣.بدء الفتوحات الإسلامية الكبرى في الشام والعراق ((ركيزة الجهاد)).

٤.جمع القرآن عملاً بنصيحة عمر بن الخطاب ((قبول النصح والإرشاد والتوجيه لصيانة الدين)).

-بالجملة، كان التزامهم العملي ينزل على أرض الواقع في صورة حكم رباني يعكس الصورة المثلى للمجتمع المسلم الفذ في أوضح صورة. (١٦)

*ومن قيادته الربانية أنه رضي الله عنه **كان حكيماً في تصرفاته**: فكان يضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

ففي يوم اليرموك... حين تغطرس النصارى، فقال أبو بكر: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فجاءهم خالد بن الوليد، وجاءت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، في مائتين وأربعين ألف علج، والمسلمون لا يبلغون أربعين ألفاً.

فالتفت رجل من المسلمين إلى خالد بن الوليد فقال: ما أكثر الروم وأقل المسلمين !! فقال سيف الله خالد بن الوليد: ويلك ! بئس ما قلت، أتخوفني بالروم ؟ بل ما أكثر المسلمين وأقل الروم، وإنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان ! ووددت والله أن الأشقر -يعني فرسه- برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد، فثبتوا فثبتهم الله، ونصروا الله فنصرهم الله . (١٧)

-ونرى أيضاً موقفه الذي ثبت فيه الدولة الإسلامية، موقفاً صعباً يحتاج إلى فقيه وسياسي في نفس الوقت.

فقد حدثت أزمة بعد حياة الرسول عليه الصلاة والسلام اشتبكت فيها السياسة الخارجية بالسياسة الداخلية بمسائل التوحيد والفقه، فكان لها علم الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيقذف بكلمته ويوضح بها الدين.
ففي الصحيحين أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)) ؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله ! لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنـــــه: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق)) (١٨) .
-وهكذا نرى ونجد في سيرة هذا القائد الرباني السبق إلى كل كمال، والمسارعة إلى كل خير، والقيام بالواجب.
ونجد حياة متكاملة في الشؤون الحياتية كلها، فللعمل فيها نصيب، وللجهاد فيها نصيب، وخدمة المسلمين نصيب، والسياسة وتثبيت الأمة نصيب .

المبحث الثاني : رجال الفكر والدعوة في عصر التابعين (عمر بن عبد العزيز) أنموذجاً .

لاشك أن جيل الصحابة رضي الله عنهم كان من أخوف الناس لله تعالى، وكانوا هم القمة في كل خير، لذلك مدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:-
((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) (١٩) .
-وهم خير من عرف الطريق إلى الله ، وتركوا لنا إرثاً عظيماً من الدعاة قاموا بتربيتهم على تلك الأصول التربوية التي استمدوها من أتقى الناس وأعبدهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.
وتلك النماذج البشرية التي ربوها هم التابعون، وهم بذلك يشكلون أصفى وأنقى رصيد من فنون التربية بعد جيل الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.
-واختيار عصر التابعين فيه دلالة لأصالة التربية الإسلامية، وذلك بتكررها وعدم اقتصارها على عصر النبوة والصحابة فحسب، لئلا يظن بأنها فترة استثنائية لوجود النبي صلى الله عليه وسلم.
فالمنهج التربوي الإسلامي منهج ونظرية تنبثق من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية عن النبي عليه الصلاة والسلام، ويمارسها المسلمون في كل آن وعصر، ويظل معين التربية الإسلامية بأسسه ومنطلقاته، حقلاً تربوياً عملياً لا ينضب مع مضي الزمان وتعدد وقائع الأحوال. (٢٠)
وقمت باختيار شخصية من هذا العصـر تمثل القيادة الربانية متمثلة بالخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

القائد والخليفة الرباني ـ عمر بن عبد العزيز ـ ((رحمه الله))

كان قبل خلافته مترفاً، حتى يصفه ابن الحكم في كتابه ((سيرة عمر بن عبد العزيز))، بقوله:-((كان عمر بن عبد العزيز من أعظم الأمويين ترفهاً وتملكاً، غُذّي بالملك ونشأ فيه، لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيه ، ويمشي مشية تسمى العمرية، فكان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها.... فلم يزل على ذلك حتى ولي الخلافة فزهد في الدنيا ورفضها)) (٢١) .

-وهذا الزهد وهذا الانقلاب في حياة عمر بن عبد العزيز الذي أعاد للمسلمين أيام الخلافة الراشدة، لم يكن وليد ليلة، إنما هو ولادة أيام وسنين قضاها عمر باختيار أمه وأبيه عند خاله ابن عمر رضي الله عنهما، عندما لاحظت أمه نبوغاً لا ينبغي أن يترعرع بعيداً عن جو المدينة الذي كان يعبق بعلم وزهد ما تبقى من الصحابة الأطهار، والذي كان ابن عمر من أبرزهم، فذهبت أمه مع أبنائها إلى الشام، وتركت عمر عند ابن عمر يعلمه ويقومه ويزكيه في آن واحد.

-وما قام به ابن عمر هو غرس أسس التربية في نفس عمر بن عبد العزيز، والتي كان يظهر بعضاً من آثارها في مواقف له قبل الخلافة، وكان يتفاعل مع هذه الأسس في الفترة التي سبقت الخلافة، يساعده في ذلك جو المدينة المليء بالقدوات، وقد وصل التفاعل قمته عندما استلم الخلافة، ومن مظاهر ذلك التفاعل قبل الخلافة بكاؤه عند مغادرة المدينة وهو يلتفت إلى مزاحم ويقول:-((يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة)) (٢٢) مشيراً بذلك إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم:-((إنما المدينة كالكير تنفي خبثها ، وينصع طيبها)) (٢٣) .

*** ((حرصه على العلم عامة، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة)) .**

لقد خاف عمر بن عبد العزيز ذهاب العلم، وضياع حديث النبي صلى الله عليه وسلم بموت حملته وحفاظه، فأراد أن تدوّن السنة كتابة، بجانب كونها محفوظة في الصدور، فكتب إلى أبي بكر بن حزم التابعي موضع الثقة عند عمر بعلمه ودينه الذي استعمله على إمرة المدينة وقضائها، وكان من العلماء العاملين، كتب إليه بما يريد منه كتابة الحديث وفصل له المنهج الذي يجب أن يسير عليه في ذلك.

-ومن فقه الإمام البخاري أنه جعل كتاب عمر بن عبد العزيز مفصلاً ضمن باب في ((كتاب العلم)) من الجامع الصحيح ، فقال -رحمه الله:((باب: كيف يقبض العلم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم،ولتفشوا العلم،ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم،فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)) (٢٤).

-فهو بهذا العمل -بأمره بالتحديث- يتقرب إلى الله، لأنه كان حريصاً كل الحرص على السنة، ويخشى ذهابها بذهاب العلماء، ولأن خوفه من ربه عز وجل - وهو يتولى أمور المسلمين- ملك عليه نفسه وقلبه، فهو يخشى أن يقع في شيء من التقاعس والتقصير.

-ومن آثار جو المدينة عليه، وتربية ابن عمر، وتعبه على نفسه بإلزامها بتعلم العلم قبل وبعد الخلافة، قول تلميذ ابن عباس الإمام مجاهد:-((أتيناه نُعلِّمه فما برحنا حتى تعلّمنا منه)) (٢٥) .

-وأوضح من هذا قول ميمون بن مهران:-((أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا، فما كنا معه إلا تلامذة)) (٢٦) .

-فلم يمنعه من تعلم العلم إمارته على المدينة قبل الخلافة، ولا خلافته.

*** ((إخلاصه وصدقه)) .**

كان عمر بن عبد العزيز يحاسب نفسه محاسبة شديدة عن كل ما يصدر عنه من قول أو عمل فيما إذا كان لله أو لغيره، لأنه يعلم أن أحد شرطي قبول الأعمال هو الإخلاص، حتى إنه يقول عن نفسه:((إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة)) (٢٧) .

-ويقول أبو أيوب: إني لعند عمر بن عبد العزيز، إذ فتح له منطق حسن حتى رقّ له أصحابه، قال: ففطن لرجل منهم وهو يجرف دمعته، فقطع منطقه !!. قال ميمون: فقلت: امضِ في منطقك يا أمير المؤمنين، فإني أرجو أن يمن الله بك على من سمعه منك، أو انتهى اليه، فقال بيده:-

*** ((مراقبته لله تعالى)) .**

كان عمر بن عبد العزيز يربي نفسه على المراقبة الدائمة لله تعالى، وكان يستشعر أن الله ناظر إليه في كل أمر، مما نتج عنه الخوف الدائم من محاسبة الله له على أي تقصير في حقه أو حقوق الآخرين.

فما روي عنه أن:-((عنبراً ومسكاً من الفيء جيء له به، فمسكه فقام يتوضأ مما علق به من رائحته، مما جعل كاتبه ليث بن أبي رقية يقول له: ما هذا الذي أصبت منها حتى تتوضأ ؟ فقال: عجباً لك يا ليث ! وهل ينتفع منها إلا بالذي وجدت ؟ أتؤكل أو تشرب)) (٢٩) .
-وقصته مع ابنته عندما ((كانت لها لؤلؤة واحدة تستخدمها كقرط في أذنها، وتنقصها لؤلؤة أخرى لتضعها في أذنها الأخرى فأرسلت له أن يعطيها لؤلؤة أخرى فأرسل إليها بجمرتين ثم قال لها: إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بعثت إليك بأخت لها)) (٣٠) .
ومن شدة خوفه من سؤال الله يوم القيامة، أنه اتخذ ثوباً واحداً يخرج فيه للناس، كلما اتسخ غسله ثم لبسه مرة أخرى، وأرجع جميع ذهب زوجته إلى بيت مال المسلمين، وكان يضيء المصباح إذا كان يعمل في أمور المسلمين، أما إذا حدّثه أحد في غير أمور المسلمين أطفأه خوفاً أن يحاسب يوم القيامة على قطرة أو قطرتين من الزيت احترقت في غير مصلحة المسلمين.
ومن المآثر التي رواها ميمون عن عمر بن عبد العزيز في فهم الأحكام والورع: ما حدّث عنه أبو المليح، قال: قال ميمون بن مهران: أهدي إلى عمر بن عبد العزيز تفاح وفاكهة، فردها، وقال:((لا أعلمن أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملي بشيء!قيل له:ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية؟!قال:بلى،ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة))(٣١) .

وكل هذا الورع الجلي الواضح في سيرة عمر بن عبد العزيز إنما هو حصيلة الاستشعار الدائم لمراقبة الله تعالى، والخوف من سؤاله يوم القيامة، ولا يقل الورع إلا إذا قلّ الاستشعار برقابة الله تعالى.

*** ((كثرة بكائه)) .**

ومن شدة خوفه لله تعالى كثرة بكائه ، يحدّث المغيرة بن حكيم، فيقول: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز:((يا مغيرة، إنه يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر، وما رأيت أحداً قط أشد فرقاً -خوفاً- من ربه عز وجل من عمر، كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده، ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه، فلا يزال رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عيناه)) (٣٢) .
فكان -رحمه الله- كثير البكاء خوفاً من الله عز وجل، فهذا ميمون بن مهران يقول: قال لي عمر بن عبد العزيز:- ((حدثني، فحدثته حديثاً بكى منه بكاءً شديداً، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو علمت أنك تبكي هذا البكاء لحدثتك حديثاً ألين من هذا، قال:يا ميمون؛إنا نأكل هذه الشجرة العدس، وهي ما علمت مرقة للقلب،مغزرة للدمع،مذلة للجسد))(٣٣) .
-يقول عنه مكحول:-((لو حلفت لصدقت، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز)) (٣٤) .

*** ((تذكره للموت)) .**

تذكر الموت والقبر أصبح سجية من سجايا حياته -رحمه الله- خاصة بعدما ذكره ابنه عبد الملك بالموت منذ اليوم الأول من أيام الخلافة ؛ وذلك عندما ذهب ليقيل بعد التعب الذي وجده من دفن سليمان بن عبد الملك، ثم يرد المظالم إلى أهلها، فقال له عبد الملك مذكرا بالموت: وهل تضمن الحياة بعد المقيل ؟ فهب مسرعاً ونادى بالناس لترد لهم المظالم.
-وجاءت له امرأة من أهل الكوفة تريد قضاء حاجتها، فطلب منها أن ترجع له في المساء، ثم استدرك فقال لنفسه:((مه فلعلّي لا أبلغ العشاء،أدخلي على فاطمة بنت عبد الملك يعني زوجته،ثم دعاها، وكتب لها كتاباً))(٣٥) .

-وجـاء عـن الزهـري: أن عمـر بـن عبـد العزيـز كـان إذا أصـبح أمسـك بلحيتـه، ثـم قـرأ:((

،ثم يبكي، ويقول:-

نهارك يا مغرور سهو وغفـلة وليلك نوم والردى لـك لازم

فلا أنت في الأيقاظ يقظان حـازم ولا أنت في النوّام ناجٍ فسالم

تسر بما يفنى وتفــرح بالمنى كما سرّ باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سـوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهـائم (٣٧)

-وهذه هي اليقظة الإيمانية التي تباعد عن الغفلة والركون إلـى زخرف الدنيا، وهو مطلب عظيم يتمنـاه كل سائر إلى الله تعالى.
-وهـذه الشـفافية العاليـة عنـد عمـر بـن عبـد العزيـز، وتـذكره للمـوت دائمـاً، يحـدثنا عنهـا ميمـون بـن مهران:((أنه خرج مع عمر بن العزيز إلى المقبرة، فلما نظر عمر إلى القبور بكى، ثم أقبل عليّ ، فقال: يا أبا أيوب، هذه قبور آبائي من بني أمية، كـأنهم لـم يشـاركوا أهل الدنيا فـي لـذتهم وعيشـهم، أمـا تـراهم صرعى قد حلّت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصـابت الهوام فـي أبدانهم مقيلاً، ثـم بكـى حتـى غشي عليه، ثم أفاق، فقال: انطلق بنا فوالله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن عذاب الله)) (٣٨) .

-وكان ذا صلة بالتدبر والتذكر لآيات الله تعالى، فهذا ميمون يقول:-

((قرأت عند عمر بن عبد العزيز قوله تعالى:((ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر))، فقال لي: يا ميمون، ما أرى القبر إلا زيارة، ولابد للزائر أن يرجع إلى منزله -يعني إلى الجنة أو النار – (٣٩) .

*** ((تواضعه)) .**
كان عمر بن عبد العزيز شديداً مع نفسه في هذا الأمر، وما كان يستعلي على الآخرين بسبب الخلافة.
ومما يروى عنه في هذا الأمر أنه:-((كان عنده قوم ذات ليلـة فـي بعض مـا يحتـاج إليـه فغشـي سراجه، فقام فأصلحه، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نكفيك ؟ قال: وما ضـرني، قمـت وأنـا عمـر بـن عبـد العزيـز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز)) (٤٠) .
-هكذا يعـالج ويربـي نفسـه بمنتهـى الدقـة، فهـو يخشـى عليهـا إن قـام بخدمتـه أحـد، أن تحدثـه بأنـك أميـر المؤمنين، ويخدمك الناس لمقامك، فربما يصيبه شـيء مـن التعـالي، وقـد علـم قـول النبـي صـلى الله عليـه وسلم:-((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) (٤١) .

-ومن تواضعه -رحمه الله- أنه:((قيل له: يا أمير المؤمنين، لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، قال:((والله لان يعذبني الله بكل عذاب -إلا النار فإنه لا صبر لي عليها- أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أرى أني لذلك الموضع أهل)) (٤٢) .
-ويروى عنه:((أنه أتي بسلق وأقراص، فأكل، ثم اضطجع على فراشه، وغطى وجهه بطرف ردائه، وجعل يبكي ويقول: عبد بطيء بطين !! يتباطأ ويتمنى على الله منازل الصالحين)) (٤٣) .
-ما قال هذا إلا لتواضعه لله تعالى، وصفاء قلبه، ورقة أحاسيسه، القائمة على قاعدة من العلم النافع والعمل الصالح.

*** ((حكمته ومعرفته بالرجال)) .**

لقد كان -رحمه الله- يقرر ويدرس الأمور دراسة علمية، ويضع الشيء المناسب في محله المناسب، كل ذلك من أجل تحقيق مصلحة الأمة.
-من أمثلة ذلك أنه كلّف ميمون بن مهران على قضاء الجزيرة وخراجها، ولكن ميمون حاول الاعتذار، وذلك من ورعه أنه يخشى القضاء والإمرة لما أن ذلك قد يوقعه فيما لا تحمد عقباه يوم الدين، ولكن عمر بن عبد العزيز بحكمته، وحرصه على أن تأخذ كفاءات الرجال الأقوياء الأمناء مواقعها في إدارة شؤون الأمة ؛ استطاع إقناعه بالقيام بما كلفه به، وذلك بتذكيره بالواجب، وفتح باب التعاون بينهما عند الحاجة، وأنه لو اعتذر كل قادر على حمل المسؤولية عن الإسهام في دفع عجلة الحياة في المجتمع المسلم، لم يقم دين ولا دنيا، فما كان منه -يرحمه الله- إلا الانصياع والقيام بالمهمة الملقاة على عاتقه خير قيام.
-حدّث هارون أبو محمد البربري -كما جاء في ((الحلية)) لأبي نعيم وغيرها:-((أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وعلى خراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه، وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق..... فكتب إليه عمر: إني لم أكلفك ما يعنِّيك، أجبِ الطيب من الخراج، واقض بما استبان لك، فإذا لبس عليك أمر فارفعه الي، فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه، لم يقم دين ولا دنيا)) . (٤٤)
-لقد كان من تقواه -رحمه الله- في تحقيق مصالح الناس، ومعرفته بالرجال:-
إصراره على عدم إعفاء ميمون مما كلفه به من القضاء وجباية الخراج، وتذليل العقبات أمامه.

*** ((وفاته)) .**

إن كل ما تحدثنا عنه من مآثر جليلة، وأعمال خالدة، وإصلاحات واسعة تتجمل بها حياة طويلة، كل ذلك كان في خلافة لمدة سنتين وخمسة أشهر، فكان عمر بن عبد العزيز آية من آيات الله العظام في جلالة عمله، وضخامة إنتاجه، وبعد أثره ؛ وقد توفي عام ١٠١هـ وهو ابن تسعة وثلاثين سنة وأشهر. (٤٥)
فكان -رحمه الله- ربانياً بكل معنى هذه الكلمة، فـ ((قد كان هذا الرجل حسن الخَلق والخُلُق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوّاهاً منيباً، قانتاً لله، حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق..... وعُدّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين)) (٤٦) .

المبحث الثالث : رجال الفكر والدعوة في عصر تابعي التابعين ((عبد الله بن المبارك)) أنموذجاً .

تمتاز العصور الثلاثة الأولى بالخيرية، كما ذكرنا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:- ((خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) (٤٧) .
أي عصر الصحابة ثم التابعين ثم تابعي التابعين.

-ويتصف أيضاً أهل العلم فيها بالعمل الطيّب والسلوك القويم، وكما يمتاز من بين أهل العلم، المفكرون والدعاة والمجاهدون المتصفون بصفاء قلوبهم وأفكارهم، وبورعهم وزهدهم وخشوعهم وإنابتهم.
هذا وإن هذا الجانب -جانب الفكر والدعوة - جانب عظيم ومهم يتطلب منا معرفته ودراسته والتعمق فيه، لأن القصد الأصلي من العلم، وخاصة من العلوم الإسلامية هو تربية النفوس، وتزكية القلوب، وتعويدها على ممارسة الأعمال الطيبة ، ودعوة الناس إلى الخير .
-وفي عصر تابعي التابعين، كان المسلمون لقرب عهدهم بالتابعين وأتباعهم على خير كثير في أخلاقهم، وعاداتهم ، وعباداتهم، وعقائدهم ؛ وكان الجو الديني سائداً على المجتمع الإسلامي، وكان أهل العلم متصفين بالعقيدة الطيبة، والعمل الطيب، والسلوك الحسن المنبثق عن تعاليم الإسلام النيرة.
-وقد قمت باختيار شخصية رجل قضى غالب عمره بالجهاد والقتال في سبيل الله فكان قائداً ومجاهداً ربانياً ألا وهو: المجاهد الرباني: عبد الله بن المبارك -رحمه الله- .

القائد والمجاهد الرباني - عبد الله بن المبارك - ((رحمه الله تعالى)) .

ولد المجاهد الرباني في مدينة (مرو) أشهر مدن خراسان في عام (١١٨)هـ، وكان أبوه رجلاً صالحاً، وكان منذ صغره تبدو عليه مخايل النبوغ وملامح الذكاء.
وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، ورحل في طلب العلم، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة. (٤٨)

*** ((زهده)) .**

طلب عبد الله بن المبارك الدنيا والتجارة -لا لنفسه- بل لله، لينفقها في سبيل الله، ثم ليصون بها ماء وجهه عن أن يراق على أبواب السلاطين، وأعتاب الأغنياء، وليربأ بنفسه من أن تمتد يده إلى مخلوق بسؤال.
*حدّث الفضيل بن عياض فقال:((سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذلك ؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي: إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا)) (٤٩) .
*وكان -رحمه الله-يقول:-((لا يخرج العبد عن الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس)) (٥٠) .
*وترجم له ابن كثير فقال:- ((قد كان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يتّجر به في البلدان، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم، وربما أنفق من رأس ماله)) (٥١) .
-وهكذا كان ابن المبارك يجمع في رحلاته بين الفائدة الدينية والروحية من طريق الدراسة والتأمل وطلب المزيد من العلم، والفائدة المادية عن طريق التجارة والاكتساب حتى صار في العلم إماماً يرجع إليه الناس، ويستفتيه العلماء، وصار في حرفة التجارة علماً يشار إليه بالبنان.

*** ((إيثاره ، وعطاؤه)) .**

اشتهر عبد الله بن المبارك بالإيثار والسخاء والكرم والبذل، والمواقف التي تشهد على هذا كثيرة، ذكرها أهل السير والتاريخ، من ذلك:-
*أنه ((خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلّف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميّت ثم لفّته ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت:أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة ؛ ولقد حُلّت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظلم، وأخذ ماله، وقتل ؛ فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله: كم معك

من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال :عِدْ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى (مرو) وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام، ثم رجع)) (٥٢) .
*ومن الروايات التي تنقل عنه أنه:-((كان إذا عزم على الحج، يقول لأصحابه: من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأت بنفقة حتى أكون أنا أنفق عليه، فكان يأخذ منهم نفقاتهم، ويكتب على كل صرة اسم صاحبها، ويجمعها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحسن الخلق والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم، فيقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم بهدية، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها، فإذا جاءوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبُيِّضت أبوابها، ورُمِّم شعثها، فإذا وصلوا إلى البلد، عمل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء الجميل، وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم الناس، وهو الدهر صائم في الحر الشديد)) (٥٣) .
-فهذا الكرم وهذا السخاء لا يتصف به إلا الشجعان الأبطال، لأن الكرم شجاعة، والبخل مجبنة، ولكن عبد الله بن المبارك كان يعلم أنه يتعامل مع أكرم الأكرمين تبارك وتعالى.

*** ((نصائحه ودعوته)) .**

كان عبد الله بن المبارك يذكر الآخرين بواجباتهم تجاه ربهم، وتجاه دينهم، بالموعظة والنصيحة.
يقول حبيب الجلاب:-((سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟
قال: غزيرة عقل.
قلت: فإن لم يكن ؟
قال: حسن أدب.
قلت: فإن لم يكن ؟
قال: أخ شفيق يستشيره.
قلت: فإن لم يكن ؟
قال: صمت طويل.
قلت: فإن لم يكن ؟ قال: موت عاجل)) (٥٤) .
-فجمع ابن المبارك بهذه الكلمات، الأمور العظام من الدين ؛ من الأخلاق والآداب الحسنة، ومن الأخ الناصح المشفق، ومن ترك الكلام فيما لا يعنيه، والتزام الصمت.
-وكان أيضاً -رحمه الله- يذكر بمحاسن الرجل أن تكون هي الأصل، ذاك أن كل إنسان معرّض للخطأ والزلل والسيئات، فيقاس الرجل بميزان حسناته وسيئاته، فإذا كثرت محاسنه انغمرت سيئاته في بحار حسناته، وإلا فلا، حيث يقول:-((إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن)) (٥٥) .
-وكان من حبه للعلم وأهله يعتبره من أهم وأعظم المكرمات التي يكرم الله به عبده حيث يقول:-((عجبت لمن يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة)) (٥٦) .
-وكان -رحمه الله- يحذر من عواقب الأمور حتى يبقى العبد دوماً على اتصال مع ربه تبارك وتعالى، ويرهب الآخرين من مكر الله تعالى، ولذلك روي عنه أنه قال:-((إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه، وعمر قد بقي لا يدرى ما فيه من الهلكات، وفضل قد أعطي لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زينت له يراها هدى، وزيغ قلب ساعة، فقد يسلب دينه ولا يشعر)) (٥٧) .

-وينصح -رحمه الله- من عدم كتمان العلم فإنه أمانة في أعناق من يعلم، وإلا فسوف يعاقبه بإحدى هذه الأمور:- ((من يبخل بالعلم أبتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينسى، أو يتبع السلطان)) (٥٨) .

*** ((شعره -رحمه الله-)) .**

كان عبد الله بن المبارك من الشعراء البارزين، ومن أشهر قصائده -والتي تدخل ضمن نصائحه ودعوته لإخوته -ما حدث به محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، حيث قال:-((أملى عليّ ابن المبارك بطرسوس، وودعته، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة، هذه الأبيات:-

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلـعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخـضّب
أو كان يتعب خيله في بـاطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبيـــنا ... قول صحيح صادق لا يكـذب
لا يستوي غبار خيـل الله في ... أنف امرئٍ ودخان نار تلـهب
هذا كتاب الله ينطـق بيننـا ... ليس الشهيد بميت لا يكـذب

فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم، فلما قرأه ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح)) (٥٩) .

-نلاحظ من هذه القصيدة أن ابن المبارك كان متألماً من حال الفضيل الذي يقيم متعبداً بجوار المسجد الحرام، ولا يشترك في الجهاد، فكتب إلى أخيه هذه الرسالة، يدعوه فيها إلى ترك العبادة في جوار الحرم والإقبال على الجهاد في سبيل الله.

-وشعره كثير ومطوّل يتضمن الحكم المفيدة في مكارم الأخلاق والحث على الجهاد. (٦٠)

*** ((جهاده -رحمه الله-)) .**

هكذا العالم الرباني لابد أن يكون له دور في قضية ذروة سنام الإسلام وهو -الجهاد في سبيل الله- فقد كان -رحمه الله- كثير الغزو والحج.

ولقد كان علماً في هذا المضمار، وكان مجاهداً وصاحب بطولة في الميدان، ولقد روى التاريخ، أنه ((كان يجاهد بعلمه وماله وسلاحه، وأنه شارك في جملة غزوات، وكان مقاتلاً جيداً وبطلاً صنديداً، وكان يحضر القتال، فإذا كان في وقت القسمة غاب)) (٦١) .

-وصفه الذهبي فقال عنه إنه ((فخر المجاهدين)) (٦٢) .

-وفي كتاب العبر:-((كان رأساً في الشجاعة، وكان يحج سنة، ويغزو مرابطاً في سبيل الله في الثغور سنة)) (٦٣) .

فمرة يرابط في طرسوس وأخرى في المصيصة وفي غير ذلك من الثغور الإسلامية، حتى أدركته الوفاة وهو منصرف من بعض الثغور، حيث كان يغزو في سبيل الله يعلم الناس كيف تكون البطولة والشجاعة... وكان المجاهدون حوله يتعلمون منه العلم. ويكتبون عنه الحديث كما يتعلمون الشجاعة . (٦٤)

-ومن بطولاته في الجهاد في سبيل الله التي تبين أنه كان فخر المجاهدين حقاً، ما حدّث عبد الله بن سنان، قال:((كنت مع ابن المبارك، والمعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس النفير، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطّف المسلمون والعدو، خرج روميّ وطلب البراز، فخرج إليه رجل، فشدّ العلج على المسلم فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، قال: فالتفت إليّ ابن المبارك، وقال: يا فلان إن حدث بي الموت فافعل كذا وكذا، وحرك دابته، وبرز للعلج، فعالج معه ساعة فقتل العلج، وطلب المبارزة، فبرز اليه علج آخر فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز، قال: فكأنهم كاعوا عنه فضرب دابته وطرد بين الصفين وغاب، فلم نشعر بشيء إذ أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان، فقال لي: يا أبا عبد الله لان حدثت بهذا أحداً وأنا حي، وذكر كلمة)) (٦٥) .

-وهكذا فليكن العلماء المفكرون والدعاة أبطالاً شجعاناً، يطلبون الموت مظانه، يحرصون على الموت حتى توهب لهم الحياة، وبمثل هؤلاء تنتصر المبادئ، وتقام الأمم، وترتفع راية الدين.

*** ((ثناء العلماء عليه)) .**

كان لابن المبارك -رحمه الله- مكانة طيبة عند العلماء والناس، فقد ذكروه وأثنوا عليه بأجمل الصفات وأطيبها وكان أهلاً لذلك الثناء، من ذلك الثناء:-

١.قول سفيان بن عيينة:((نظرت في أمره وأمر الصحابة، فما رأيتهم يفضلون عليه إلا في صحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (٦٦) .

٢.قول إسماعيل بن عيَّاش : ((ما على وجه الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك)) (٦٧) .

٣.ويقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل مثنياً على علم ابن المبارك:-((لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه)) (٦٨) .

٤.وقد جمع ابن المبارك خصال الخير كلها، فهذا العباس بن مصعب المروزي يقول:-((جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ومحبة الفِرَق له)) (٦٩) .

٥.أما صاحبه وصديقه الفضيل بن عياض فيقسم بالله أنه ما رأى مثل ابن المبارك:-((ورب هذا البيت ما رأت عيناي مثل عبد الله بن المبارك)) (٧٠) .

٦.وقيل أن الرشيد لما بلغه موت ابن المبارك قال:- ((مات اليوم سيد العلماء)) (٧١) .

٧.ويقول أبو عمر ابن عبد البر:-((أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله)) . (٧٢)

-فثناء العلماء عليه -رحمه الله- أكثر من أن يحصى، وكفاه فخراً بهذا.

*** ((وفاته -رحمه الله-)) .**

ومضت الأيام والأعوام بعد ذلك، وانتهت حركة هذا الرباني في العلم والفكر والدعوة والزهد والتقوى والشجاعة والكرم والسخاء، واقتربت ساعة موته، ومع ذلك ينصح ملقنه، فهذا أحمد بن عبد الله العجلي يقول: حدّثني أبي، قال:-((لما احتضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه ، قل : لا إله إلا الله، وأكثر عليه،

فقال: لست تحسن، وأخاف أن تؤذي مسلماً بعدي ؛ إذا لقنتني فقلت: لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلاماً بعدها فدعني، فإذا أحدثت كلاماً بعدها فلقني حتى تكون آخر كلامي)) (٧٣) .

-وانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، عن عمر يناهز ثلاثاً وستين سنة.(٧٤)
-ودفن -رحمه الله- في مدينة هيت . (٧٥)
-وبعد موته رآه الفضيل بن عياض في المنام، فسأله ؟
-أي العمل أفضل ؟
قال: الأمر الذي كنت فيه.
قلت: الرباط والجهاد ؟
قال: نعم.
قلت: فما صنع ربك ؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة . (٧٦)
فرحم الله تعالى هذا العالم الرباني عبد الله بن المبارك، الذي قضّى جميع أوقاته لله تعالى ؛ فتارة يغزو، وتارة يحج، وأخرى ينفق في سبيل الله، وهناك يعلّم ويربي، وهناك يطلب العلم، وهذا الحال وهذا العمل لا يقدر عليه إلا الربانيين والمفكرين والدعاة ، حتى وصل الحال بسفيان الثوري أن يقول:-
((لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر)) (٧٧) .
-وهذه هي حياة الرباني عبد الله بن المبارك الذي سار على درب النبيّ ((صلى الله عليه وسلم)) وأصحابه فسخر علمه وماله ونفسه للتقرب إلى الله تعالى، وهداية الآخرين، وأخذ نفسه بالعمل بهذا العلم، حتى كان القدوة التي تدل الناس والأجيال على طرق أبواب الخير اتقاءً لله تعالى في كل ميدان .

الخاتمة

النتائج والتوصيات : ـ بعد حمد الله تعالى على توفيقه إياي لإتمام هذا البحث، أسجل أهم النتائج والتوصيات : ـ

١. إن رجال الفكر والدعوة هم أهل الثقافة والعلم والأخلاق والروحانية والعمل وإقامة الفروض .

٢. أن الإسلام نظام اعتمد العقيدة أساساً في كل شيء ، وعليه فإن شخصية رجل الفكر والدعوة تتضح وتتكامل أكثر

فأكثر كلما ازداد تمسك صاحبها بالسلوك المميز الموافق للعقيدة الإسلامية التي يحملها ويؤمن بـــها .

٣. تبيّن في هذا البحث أن الأمة الإسلامية ـ الآن ـ أحوج ما تكون إلى رجال الفكر والدعوة الذين يستطيعون أن

يسيروا بالناس إلى ربّهم .

٤. لا نصل على أخلاق رجال الفكر والدعوة إلا بالسير على نهج الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

٥. إن دراسة وقراءة سير رجال الفكر والدعوة من أهم الوسائل لإشغال المواهب وإثارة الروح وتقويم الأخلاق .

٦. أُوصي بالرجوع إلى أصول الإسلام في الإعتقاد والتشريع والسلوك .

الهوامش

١) سورة يوسف : ١١١ .
٢) المسند ، أحمد بن حنبل : ٣٧٩/١ (٣٦٠٠) ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢٤ / ٣٢١ ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت .
٤) ينظر ، مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة ، المقدسي : ١٨٥- ١٩٠ ، مؤسسة الراجحي ، السعودية ، ١٤٢٤ هـ .
٥) ينظر ، تاريخ الإسلام ، الذهبي : ٥/٢ ــ ١٥ ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .
٦) الزهد ، أحمد بن حنبل : ١٦٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٧) الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخاري : ٦٧١/٢ (١٧٩٨) ، ط٣ ، دار بن كثير ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
صحيح مسلم ، مسلم بن الحجّاج : ٧١١/٢ (١٠٢٧) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
٨) المعجم الكبير، الطبراني : ١/ ٦٠ (٣٨) ، ط٢ ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ١٩٨٣ .
٩) المعجم الكبير : ٨ / ٢٠٤ (٧٨٢٦) .
١٠) البداية النهاية ، ابن كثير : ٣٦٨/٦ ، ط١ ، دار أبي حيان ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
١١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢٨ / ١٤٦ .
١٢) سورة هود : ١١٧ .
١٣) التفسير الكبير ، الرازي : ١٩ / ٦١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
١٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١١٤/٩ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
١٥) البخاري : ٣ / ١٣١٧ (٣٤٠٣) ، مسلم : ٤ / ٢٢٠٨ (٢٨٨٠) .
١٦) موقع مفكرة الإسلام .
١٧) البداية والنهاية : ٧ / ٩ .
١٨) البخاري : ٢ / ٥٠٧ (١٣٣٥) ، مسلم : ١ / ٥١ (٢٠) .
١٩) البخاري : ٢ / ٩٣٨ (٢٥٠٨) ، مسلم : ٤ / ١٩٦٢ (٢٥٣٣) .
٢٠) ينظر ، منهج التابعين في تربية النفوس ، عبد الحميد البلالي : ٦ ، ط٣ ، مكتبة المنار ، الكويت ، ١٩٩٧ م .
٢١) سيرة عمر بن عبد العزيز ، عبد الله بن الحكم : ٢٦ ، د.ط ، د.ت .
٢٢) المصدر نفسه : ٣٢ .
٢٣) البخاري : ٢/ ٦٦٥ (١٧٨٤) .
٢٤) البخاري : ١ / ٤٩ (٣٤) .
٢٥) طبقات الفقهاء ، أبو إسحاق الشيرازي الشافعي : ٦٤ ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ .
٢٦) سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٥ / ١٢٠ ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
٢٧) المصدر نفسه : ٥ / ١٣٧ .

٢٨) المعرفة والتاريخ ، الفسوِي : ٥٩٥/١ ، ط٢ ، مكتبة الرسالة ، ١٤٠١ هـ .
٢٩) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٤٦ .
٣٠) المصدر نفسه : ١٥٦ .
٣١) حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني : ٢٩٤/٥ ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
٣٢) المعرفة والتاريخ : ١ / ٥٧٠ .
٣٣) المصدر نفسه : ١ / ٦٠٠ .
٣٤) سير أعلام النبلاء : ٥ / ١٣٧ .
٣٥) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٤٥ .
٣٦) سورة الشعراء : ٢٠٥ ــ ٢٠٧ .
٣٧) البداية والنهاية : ٩ / ٢٠٦ .
٣٨) حلية الأولياء : ٥ / ٢٦٩ .
٣٩) المصدر نفسه : ٥ / ٣١٧ .
٤٠) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٤٦ .
٤١) مسلم : ١ / ٩٣ (٩١) .
٤٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزي : ١٧٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
٤٣) المعرفة والتاريخ : ١ / ٥٨٥ .
٤٤) حلية الأولياء : ٤ / ٨٨ .
٤٥) ينظر، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي : ٣٩٧ ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٩٩٩ م .
٤٦) سير أعلام النبلاء : ٥ / ١٢٠ .
٤٧) البخاري : ٢ / ٩٣٨ (٢٥٠٨) ، مسلم : ٤ / ١٩٢٦ (٢٥٣٣) .
٤٨) ينظر، تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٢٠ .
٤٩) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : ١٠ / ١٦٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت .
٥٠) الطبقات الكبرى ، الشعراني : ١/ ٦٠ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .
٥١) البداية والنهاية : ١٠ / ١٧٧ .
٥٢) المصدر نفسه : ١٠ / ٢٢٩ .
٥٣) المصدر نفسه : ١٠ / ٢٢٩ .
٥٤) تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .
٥٥) المصدر نفسه : ١٢/ ٢٢٥ .
٥٦) المصدر نفسه : ١٢ / ٢٢٥ .
٥٧) المصدر نفسه : ١٢ / ٢٢٨ .
٥٨) حلية الأولياء : ٨ / ١٩٥ .
٥٩) طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي : ١/ ١٥١ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، د.ت .
٦٠) ينظر ، تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٤٠ ــ ٢٤٧ .
٦١) موسوعة الفداء ، أحمد الشرباصي : ٤٨٥ ، ط١ ، دار الجيل ، د.ت .
٦٢) تذكرة الحفاظ ، الذهبي : ١ / ٢٥٣ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٦٣) العبر في خبر من غبر ، الذهبي : ٢٨١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٦٤) ينظر ، مقدمة الجرح والتعديل ، الرازي : ٢٧٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٦٥) تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٣٢ ــ ٢٣٣ .

٦٦) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٢٨ .
٦٧) المصدر نفسه : ١٠ / ٢٢٨ .
٦٨) المعرفة والتاريخ : ٢٦٢ .
٦٩) تهذيب الأسماء واللغات ، النووي : ١ / ٢٨٥ ، المطبعة المنيرية ، بيروت ، د.ت .
٧٠) تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٢٦ .
٧١) المصدر نفسه : ١٢ / ٢٤٦ .
٧٢) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٢٩ .
٧٣) صفة الصفوة ، ابن الجوزي : ٤ / ١٤٦ ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .
٧٤) ينظر ، تاريخ بغداد : ١٠ / ١٦٨ .
٧٥) تاريخ الإسلام : ١٢ / ٢٤١ .
٧٦) صفة الصفوة : ٤ / ١٤٧ .
٧٧) حلية الأولياء : ٨ / ١٦٣ .

قائمة المصادر والمراجع : ـ

بعد القرآن الكريم .
١. البداية والنهاية ، ابن كثير ، ط١ ، دار ابن حيان ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
٢. تاريخ الإسلام ، الذهبي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٣. تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت .
٤. تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٥. التفسير الكبير ، الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ .
٦. تهذيب الأسماء واللغات ، النووي ، المطبعة المنيرية ، بيروت ، د.ت .
٧. الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ط٣ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٨. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ .
٩. حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
١٠. رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٩٩٩ .
١١. الزهد ، أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
١٢. سيرة عمر بن عبد العزيز ، عبد الله الحكم ، د.ط ، د.ت .
١٣. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
١٤. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
١٥. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
١٦. صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .
١٧. طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، د.ت .
١٨. طبقات الفقهاء ، أبو إسحاق الشيرازي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ .
١٩. الطبقات الكبرى ، الشعراني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .
٢٠. العبر في خبر من غبر ، الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٢١. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ، ابن تيمية ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت .

أحيانا	نادرا

٢٢. مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة، المقدسي ، مؤسسة الراجحي، السعودية، ١٤٢٤ هـ .
٢٣. المسند ، أحمد بن حنبل ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
٢٤. المعجم الكبير ، الطبراني ، ط٢ ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ١٩٨٣ .
٢٥. المعرفة والتاريخ ، الفسوي ، ط٢ ، مكتبة الرسالة ، ١٤٠١ هـ .
٢٦. مقدمة الجرح والتعديل ، الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٢٧. منهج التابعين في تربية النفوس ، عبد الحميد البلالي ، ط٣ ، مكتبة المنار ، الكويت ، ١٩٩٧ .
٢٨. موسوعة الفداء ، أحمد الشرباصي ، ط١ ، دار الجيل ، د.ت .